

## الفنون النثرية:

### فن المقال

المقال في اللغة: من قال يقول قولاً ومقالاً، وفي الاصطلاح هو: قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية خالية من التكلف والتعقيد، تعبر عن فكرة في مجال من مجالات العلم أو الأدب أو السياسة أو الاجتماع، تكتب لتنتشر على صفحات جريدة، أو مجلة ورقية، أو إلكترونية تُعرض بطريقة مشوقة.

ويعتبر الأديب الفرنسي ميشيل دو مونتيني رائد المقال بمفهومه الحديث<sup>1</sup>، وهو يمثل الحلقة الرابطة بين جهود الأدباء الأوائل الممتدة إلى الحضارات الأولى كالكلدانية والفرعونية والصينية والإغريقية والرومانية، ثم تأتي نماذج المقالات الأولى التي كتبها الأدباء العرب الأوائل منذ القرن الثاني الهجري مع عبد الحميد الكاتب (132 هـ)، وعبد الله بن المقفع (142 هـ) والجاحظ (255 هـ)،

وهذا الأنموذج لكتابات عبد الله بن المقفع خير دليل على ما وصلت إليه المقال حينئذ من قوة وضبط وتركيز، ((ذلل نفسك بالصبر على جار السوء، وعشير السوء، وجليس السوء، فإن ذلك مما لا يكاد يخطئك، واعلم أن الصبر صبران: صبر المرء على ما يكره، وصبره عما يحب، والصبر على المكروه أكبرهما وأشبههما أن يكون صاحبه مضطراً، واعلم أن اللئام أصبر أجساداً، وأن الكرام هم أصبر نفوساً، وليس الصبر الممدوح بأن يكون جلد الرجل وقاحاً على الضرب، أو رجله قوية على المشي، أو يده قوية على العمل، فإنما هذا من صفات الحمير، ولكن الصبر الممدوح أن يكون للنفس غلوباً، وللأمر محتماً، وفي الضراء متجماً، ولنفسه عند الرأي والحفاظ مرتبطاً، وللحزم مؤثراً، وللهمى تاركاً، وللمشقة التي يرجو حسن عاقبتها مستخفاً، وعلى مجاهدة الأهواء والشهوات مواظباً، ولبصيرته بعزمه منفذاً))

لكن مع تطور فنون الكتابة وتأثرها بغايات الحياة الجديدة جعلت تلك الكتابات بعيدة عن أنموذج المقال الحديث، الذي ارتبط بظهور أولى الصحف العربية منذ سنة 1828 وهي صحيفة (الوقائع المصرية).

<sup>1</sup> ينظر: محمد يوسف نجم: فن المقالة، دار الثقافة، بيروت، (ط 4)، 1966، ص: 07.

## الخصائص العامة للمقال:

- 1 وحدة الموضوع: أن يقتصر على عرض موضوع واحد لا يتجاوزه.
- 2 محدودية الطول: حيث يقتضي أن يكون المقال مناسباً للنشر وفق الحجم المتداول في صفحات الجرائد والمجلات.
- 3 السهولة في التعبير والأسلوب المشوق: ويعني ذلك التقيّد بوضوح الفكرة وبساطة المعنى، والابتعاد عن استخدام الألفاظ الغريبة.
- 4 الالتزام بالمنهج القائم على عناصر: المقدمة والعرض والخاتمة.

المقدمة: وفيها يعرض الكاتب تصوراً كلياً لما سيتناوله، ويبرز فيه بعض العناوين التي سيقدمها، وقد يكون تعريفاً بالموضوع المعالج، وعرضاً لأهميته والحاجة إليه، بعيداً عن ذكر التفاصيل، ويتم في المقدمة تحويل فكر القارئ من العام إلى الخاص بالموضوع.

العرض: حيث يتوسع الكاتب فيه بتفصيل الأفكار التي أشار إليها في المقدمة بشيء من البسط والتحليل والمقارنة ودقة عرض الأسباب والأمثلة التوضيحية.

الخاتمة: وهي إطلالة نهائية على المقال، وتكون بحسب الموضوع الذي يتناوله، وتتعدّد طرق الكتاب في ختم مواضيعهم، فقد تكون الخاتمة توصيات بشأن موضوعه، وقد تكون تلخيصاً موجزاً لبعض عناوينه، أو أي شيء آخر يريد الكاتب أن يختم به، بشرط أن يكون متعلقاً به وعلى الإجمال.

## أنواع المقالات:

**أولاً: المقالة الذاتية:** وهي المقالة التي تعبّر عن الأفكار الحاملة لوجهات النظر الخاصة بالكاتب تجاه الموضوع الذي يكتب فيه، وتتميز بأسلوبها الأدبي القائم على حسن التقديم، حيث يتسم بميزة التشويق للموضوع، وبراعة العرض، وذلك بتسلسل الأفكار، وترابط العبارات، ومثانة الصياغة، وسلاسة وسهولة الانتقال بين الأفكار والفقرات، وفيه متسع لا بأس به للتعبير عن وجهة نظر الكاتب الشخصية أو الذاتية وإظهار عواطفه، وفيه متسع أيضاً للتعبير البليغ الموشح بالمحسنات اللفظية

والمعنوية، كالجناس والطباق، والسجع والمقابلة، والتوضيح بمختلف صور البيان كالتشبيه بأنواعه والاستعارات وغير ذلك.

وعلى الرغم من هذه الخصائص والسمات العامّة، تبقى للكاتب لمساته الخاصّة في الإبداع في الكتابة والطرح، وقد يبدع في مجالات نادرة يتميّز بها عن غيره، وما ذلك إلا لاختلاف طرائق التفكير، واختلاف الخيال، وما ينجم عنه من تصورات، واختلاف الذوق أيضاً، فلكل كاتب شخصيته الخاصة، وزاوية نظره التي ينظر من خلالها إلى الأمور، ولكن مع الحفاظ على سلامة اللغة، وحسن التعبير.

ويتناسب هذا النوع مع عدد من أصناف المقالة حسب الموضوع، مثل المقالة الاجتماعية: وهي المقالة التي تطرح المواضيع الاجتماعية وتحاول إيجاد حلول مناسبة لها، ومن أبرز الكتاب في هذا المجال هم مصطفى صادق الرافعي وطه حسين وقاسم أمين وغيرهم.

المقالة السياسية: وهي المقالة التي يُعبّر فيها الكاتب عن أفكاره تجاه القضايا السياسية، ومن أبرز كتّاب هذا النوع من المقالات هم محمود سامي البارودي، سعد زغلول، أديب إسحاق وغيرهم.

المقالة الدينية: وهي المقالة التي تتناول أمور الدين من عقيدة وفقه وأصول، كما تتضمن الدفاع عن الدين من المهاجمين عليه، ومن أبرز الكتّاب في هذا المجال هم مصطفى صادق الرافعي، وعباس محمود العقاد، وأحمد أمين.

المقالة التأملية: وهي المقالة التي تتناول الأمور المتعلقة بالكون والإنسان والحياة بما تحويه من مظاهر تدلّ على عظمة الخالق، ومن أبرز الكتّاب في هذا المجال هم مصطفى صادق الرافعي وجبران خليل جبران وعباس محمود العقاد.

**ثانياً: المقالة الموضوعية:** وهي نوع من المقالات تدور حول موضوع واحد، ويتم كتابتها بأسلوب علمي وواضح ودقيق، مع الالتزام بالموضوعية في الفكرة، والعلمية في الطرح، وعدم الإكثار من الصور الأدبية والمجاز، وما يلي ذلك من محسنات البديع اللفظية والمعنوية، واعتمادها على الدليل العلمي، بعيداً عن الاجتهاد والارتجالية وعن طرح وجهات النظر الخاصة، واستخدام المصطلح الدقيق، والبعد عن العاطفة والخيال.

ويتناسب هذا النوع الموضوعي مع عدد من أصناف المقالة حسب الموضوع أيضا مثل المقالة التاريخية: وهي المقالة التي تتناول المواضيع التاريخية من سير وأحداث ووقائع وغيرها.

المقالة الفكرية: وهي التي تتناول المواضيع الدينية والفلسفية باستخدام مناهج تقوم على التحليل والاستنباط والاستقراء، ومن أبرز الكتاب في هذا المجال هم زكي نجيب محمود واحمد لطفي السيد.

المقالة النقدية: وهي التي تُعنى بالدراسة والتقويم لأحد من النصوص الأدبية أو فنونها أو أساليبها بطريقة تحليلية تعتمد على البرهنة والتمثيل، ونجدها في الكتب المتخصصة في النقد مثل كتاب الديوان لعباس محمود العقاد والمازني، وكتاب الغربال لميخائيل نعيمة.<sup>2</sup>

وقد مرت كتابة المقال كفن أدبي بعدة مراحل، بدأت بمرحلة الرواد، وهي المرحلة التي قلد فيها كتاب المقال أسلوب المقالات القديمة، ومن رواده هذه المرحلة: رفاة الطهطاوي، ثم مرحلة التخلص من الزخرفة والسجع بشكل تدريجي، ومن رواد هذه المرحلة: عبد الرحمن الكواكبي، ثم مرحلة الإبداع والنضج، ومن روادها: طه حسين وعباس محمود العقاد ومحمد حسين هيكل وابن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي.

#### الشيخ محمد البشير الإبراهيمي :

ولد في قرية أولاد براهيم 1889 الواقعة في ولاية برج بوعريريج بالشمال الجزائري، تعلم بمسقط رأسه على يد والده وعمه الشيخ محمد المكي الإبراهيمي، الذي لاحظ أن الولد قد رزق حافظة عجيبة وذاكرة قوية، فاستغلها في تعليمه؛ فجعل له برنامجاً تعليمياً في ليله ونهاره، وكان يملئ عليه من شعر العرب القدماء والمحدثين، فحفظ محمد البشير القرآن الكريم وهو ابن تسع سنين، وحفظ مع ذلك في أثناء هذه المدة المتون المهمة في العلم، وتفقه في قواعد النحو والفقه والبلاغة...، وتوفي عمه سنة 1903 وقد ترك تلميذاً نجيباً وعالماً متمكناً، فخلفه ابن أخيه في التدريس، وانتال عليه طلبه العلم من القرى القريبة.

ثم رحل إلى الحجاز سنة 1911 واستقر بالمدينة المنورة وتعمق في علوم اللغة والفقه والعلوم الإسلامية، وتعرف على الشيخ ابن باديس عندما زار المدينة عام 1913، ومن المدينة انتقل إلى

<sup>2</sup> ينظر في هذا التقسيم: محمد يوسف نجم: فن المقالة، ص: 128-133.

دمشق 1916 التي استفاد من مدارسها ومشائخها، وشارك في تأسيس المجمع العلمي الذي كان من مهامه تعريب الإدارات الحكومية، وهناك التقى بعلماء دمشق وأدبائها.

وفي عام 1920 رجع الإبراهيمي من دمشق إلى الجزائر، وبدأ بدعوته إلى الإصلاح ونشر العلم في مدينة سطيف، حيث دعا إلى إقامة مسجد حر (غير تابع للإدارة الحكومية)، وفي عام 1924 زاره الشيخ ابن باديس وعرض عليه فكرة إقامة جمعية العلماء، وبعد تأسيس الجمعية 1931 أختير الإبراهيمي نائباً لرئيسها، وانتدب من قبل الجمعية لأصعب مهمة وهي نشر الإصلاح في غرب الجزائر، فبادر إلى ذلك وبدأ ببناء المدارس الحرة، وكان يحاضر في كل مكان يصل إليه، وفي عام 1939 كتب مقالاً في جريدة الإصلاح؛ فنفته فرنسا إلى بلدة (أفلو) الصحراوية، وبعد وفاة الشيخ ابن باديس انتُخب رئيساً لجمعية العلماء وهو لا يزال في المنفى ولم يُفرج عنه إلا عام 1943، ثم اعتقل مرة ثانية عام 1945 وأفرج عنه بعد سنة، وفي عام 1947 عادت مجلة (البصائر) للصدور، وكانت مقالات الإبراهيمي فيها تمثل الذروة العليا في البلاغة والصراحة والنقد القاسي لفرنسا وعملائها.

توفي البشير الإبراهيمي عام 1965 بعد أن عاش مكافحاً لإعادة المسلمين إلى دينهم القويم.

### من أشهر آثاره :

- عيون البصائر: وهو كتاب جمعت فيه مقالاته التي نشرها في جريد البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

- و مجموعة من الرسائل العلمية في مختلف مسائل علوم اللغة العربية. ومن أقواله: ((كتب الله أن الصداقة مطوية على العداوة، وأن الحضارة متصلة الطرفين بالبداءة، وأن في الإنسان جبلة من الحيوان، مازال في النزوع إلى أصلها غير وان، وأن الضعيف طعام للقوي، أن الرشيد في أبناء آدم مجرور بالغوي، وأنَّ مَنْ لَمْ تَبْسُطْ يَدَكَ لِقَتْلِهِ بَسَطَ يَدَهُ لِقَتْلِكَ، وَأَنَّ مَنْ قَصَّرَتْ فِي حَتْلِهِ جَدٌّ فِي حَتْلِكَ))<sup>3</sup>.

انتهى

<sup>3</sup> محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمعه: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ج: 3، ص: 532.